ينشأ الجمالي عن ديالكتيك الذاتي والموضوعي ، فالموضوعي يشكل اساس الذاتي وكلاهما في نهاية المطاف محددان ماديا اي اجتماعيا . ان الجمالي بمعناه الحقيقي يبرز فقط كنتيجة للتفاعل المادي العملي بين الذات والموضوع ، وتتشكل كل التصورات الجمالية عند الفنان بتأثير الواقع ، فنحن اذن ازاء ثلاثة عوامل : الاجتماعي (المجتمع) والذاتي (الفنان) والعمل الفني الذي هو تركيب للعاملين الاول يلعب فيه الذاتي الدور المسيطر ، فالجمالي يأتي من الفنان من الذات المبدعة التي تعيش زمنها وتعطي لجماليتها طابعا تاريخيا اجتماعيا نوعيا جديدا . فالفنان يعكس مشاعره في عمله الفني لكن ذلك لا يتم في الفراغ بل في العالم المادي ، فالعمل الفني كقيمة جمالية يحتضن اذن عنصرين الانفعالي والعقلي ، الذاتي والموضوعي ، فالفنان يستعيد واقعه بشكل انفعالي ، فهو يأخذ مضمون شعره من واقعه بشكل واع ثم يعكسه انفعاليا في شعره ، وتتحدد الاستعادة الشعرية للعالم بجملة عوامل متشابكة : قدرة الشاعر على العمل في اللغة ، الخيال الشعري ، لا شعور الفنان ، فهمه للواقع الاجتماعي بخصائصه الاساسية . ينهل الشعر مادته من المجتمع لكنه يأخذ صورته اي ماهيته كشعر من الصياغة الفنية لهذه المادة في نمط شعري كشكل ابداعي متميز . ان الموقف الجمالي من الواقع ، اي صياغته فنيا ، يعطي شكلا خاصا لعلاقة الذات بالموضوع ، علاقة الشاعر بجمهوره . وتتحدد قوة هذه العلاقة بقدرة الصورة الفنية على عكس الشعور الجمعي ، اي التعبير عن طموحات وامال واحاسيس المجتمع الذي يتوجه اليه الشاعر ، لكن هذا التوجه يبقى على المستوى الاخير توجها شعريا ، فعندما يقدم الشاعر واقعه بواسطة محاكمات نظرية ، سرد اجتماعي مبتذل ، يسقط كشاعر ، فيظل بعيدا عن حقل الانتاج الفني . فنحن لا نفهم من خلال الانتاج الشعري الواقع بل نحسه ونتملكه شعوريا ، لاننا لسنا ازاء نص نظري بل بنيان شعري . فكل اهتمام تربوي محض ينفي عن الشعر والفن بشكل عام خصائصهما النوعية الجمالية ، ويجهض في الوقت نفسه اثرهما الجمالي الذي يتواجد فيهما .

وعندما يعكس الشاعر بالصورة الفنية بعض جوانب الواقع ، ويفرضها على القارىء ويصل الى عقله ، فمعنى ذلك ان القيمة الجمالية المتضمنة في الصورة لها واقع موضوعي . وقد اظهر ماركس ان التجليات الايديولوجية « لها قيمة موضوعية من حيث هي انعكاس لعلاقات اجتماعية حقيقية محددة تاريخيا » (١)

تفرض الصورة الفنية نفسها على الفرد عندما تكون تعبيرا عنه ، فيتواصل معها ويتعاطف باحساسه بشكل مستقل عن ارادته ، فهي صورة له . واذا سمينا الصورة الفنية بالموضوع والفرد الذي يتلقاها بالذات ، فاننا نقول ان بين الذات والموضوع علاقة ديالكتيكية . فالصورة الفنية كموضوع تتوجه الى ذات موجودة فعلا ، انها تنطلق من الواقع ثم تعود اليه بشكل جديد ، تنطلق من الشرط الاجتماعي — التاريخي ثم تعود اليه كصورة فنية له ، وبهذا تخلق الصورة الفنية لنفسها مستقبلا ، اي جمهور . لهذا يقول ماركس : ان الصورة الفنية « لا تخلق موضوعا للذات بل تخلق ايضا ذاتا للموضوع ، اي تخرج من الواقع لتعود اليه ، فتستحيل بذلك الى قيمة حقيقية ذي جود وتحقق مادي . والاصبحت صورة تائهة بلا دلالة .

عندما تظهر الصورة الجمالية المعبرة عن واقعها لا تتلاشى آنيا ، فهي تحافظ على وجودها باستمرار ، لان الابداع الفني يشكل احد اشكال التملك العملية والروحية للواقع ، فهو ليس مجرد وصف خارجي للواقع بل احد ميزاته التاريخية من حيث هو تكثيف وبلورة للوعي في زمانه ، صورة تاريخية للمشاعر والعواطف والطموحات في فترة تاريخية محددة .